بين النّساء والإناث

(خطبة جمعة 30 من ربيع الأول 1435هـ الموافق لـ 31 جانفي 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " سورة الكهف.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، حديثنا في هذه الجمعة المباركة حديثٌ عن:

بين النّساء والإناث

لقد قال جلّ جلاله:

" **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿23﴾** " سورة الأحزاب.

وبمثل ما في المؤمنين رجالٌ، فإنّ من المؤمنات نساءًا، وقد ذُكِرَتْ الرّجولة هنا في سياق المدح والثّناء، فما هي الرّجولة الّتي مُدِحَ من أجلها من مُدِحَ.

أخرج البخاريّ ومسلمٌ، من حديث أنسٍ بن مالكٍ – رضي الله عنه – ، قال:
{ غاب عنّي عمّي أنسٌ بن النّضر عن قتال بدرٍ، فلمّا قدم قال: (غِبْتُ عن أوّل قتالٍ قاتله رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – المشركين، لئن أشهدني الله – عزّ وجلّ – قتالاً، لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع)،

فلمّا كان يوم أُحُدٍ انكشف النّاس . . . مشى بسيفه، فلقيه سعدٌ بن مُعَادٍ – رضي الله عنه – ، فقال: (أي سعد، والّذي نفسي بيده، إنّي لأجد ريح الجنّة دون أُحُدٍ، واهًا لريح الجنّة)،

قال سعدٌ: (فما استطعت يا رسول الله ما صنع)،

قال أنسٌ: (فوجدناه بين القتلى، به بِضْعٌ وثمانون جراحةٍ من ضربةٍ بسيفٍ، وطعنةٍ برمحٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، قد مثّلوا به).

قال أنسٌ: (كنّا نقول أُنْزِلَتْ هذه الآية:

" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ " فيه وفي أصحابه) }.

منهم من قضى نحبه استشهد بِأُحُدٍ، ومنهم من ينتظر النّصر أو الشّهادة، فلا يغيّر ولا يبدّل ولا يتقاعس.

- وإذا كانت الرّجولة الممدوحة هي رجولة الدّفاع عن دين الإسلام ونشره في الأرض، فإنّ المرأة هي الّتي تصوغ هذه الرّجولة، وصانعة الرّجولة لا ينقص ثوابها ثواب ذاك الرّجل الّذي صاغته.

- هناك امرأةٌ تُخْرِجُ لنا رجالاً كابن باديس والإبراهيمي وسحنون - رحمهم الله - ، وهناك شبه امرأةٍ، أو قُلْ أنثى أفضل، تُخْرِجُ لنا عاشقًا ولهانًا، أو مخمورًا سكرانًا، أو مغنّيًا ينهق نهيق الحمار، يشارك في مسابقات الغناء، وصوت الحمار أفضل من صوته:

" وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿19﴾ " سورة لقمان.

– إنّ قيمة النّساء عند الله عزّ وجلّ ليس بجسمهنّ وجمالهنّ، ولا بزينة بيوتهنّ، ولا بطيب ومذاق طعامهنّ، وإنّما قيمة المرأة بطاعتها لربّها، واستقامتها على سنّة الرّسول الكريم – صلّى الله عليه وسلّم – ، وتخريجهنّ لرجالٍ يرعون الفضيلة في المجتمع، ويحاربون الرّذيلة:

" **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿11﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿12﴾** " **سورة التّحريم.**

وفي الصّحيحين عن أبي موسى الأشعريّ، عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال: (**كَمُلَ من الرّجال كثيرٌ، ولم يكمل من النّساء إلاّ آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وإنّ فضل عائشة على النّساء، كفضل الثّريد على سائر الطّعام**).

– قد يتأسّف الواحد حينما تجد امرأةً، شُغْلُهَا الشّاغل أن يكون بيتها أفضل من بيت قريباتها أو جارتها، وأن تركب أفضل سيّارةٍ، وترتدي أغلى الثّياب، والحليّ في الأعراس، هل هذه المرأة يرتفع مقامها عند الله، ويعلو مكانها؟.

يتأسّف الواحد عندما يجد أكثر أسباب خراب البيوت هو خلافٌ بين النّساء، سببه غيرةٌ، وحسدٌ، وسوء الظّن، ممّا يفضي ذلك إلى طلاقٍ، وخراب بيوتٍ، وضياع أبناءٍ، لأنّه لا يمكن أن نُخرِجَ جيلاً صالحًا إذا انتشر الطّلاق في المجتمع.

تقول الإحصائيّات أنّه ضمن 100% ممّن تزوّج في العام الماضي، 20% طُلِّقْنَ، ومعناها من بين كلّ 5 زوجاتٍ، طُلِّقَتْ واحدةٌ، هذه كارثةٌ.

أتدرون لماذا يحصل هذا؟، للجهل بالدّين، والحرص على المظاهر، وقلّة التّقوى، لعدم الصّبر، وإطلاق العنان لِلِّسَانِ، وعدم طاعة الزّوج، وتنصّل الزّوج من المسؤوليّة.

في حينٍ تجد امرأةً نصرانيّةً أسلمت، ترتدي جلبابًا، وتفارق كلّ أسرتها من أجل دين الله والإسلام، بعد أن هداها الله.

في حينٍ تجد امرأةً مسلمةً من أجل لَهْوٍ في عرسٍ، تتكشّف وتخلع حجابها، ولا تستتر أمام غير المحارم، ومن أجل الظّفر برجلٍ، تصاحب رجلاً أجنبيًّا عنها.

تدرك أين هي الثّابتة، وأين الّتي تغيّرت وانساقت وراء هواها، تدرك من هي المرأة ومن هي الأنثى.

أصبحت بعض الجامعات اليوم تُخَرِّجُ بعض عاهراتٍ، إلاّ ما رحم ربّي، كان المفروض من الجامعة أن تزيد المرأة حياءًا وخلقًا، وعِفَّةً وطهارةً، أمّا الحال يقول أنّ الجامعة تقضي على حياء وَعِفَّةِ المرأة في الغالب.

ماذا تغني الشّهادة الجامعيّة إذا كانت على حساب شرف وَعِفَّةِ وحياء المرأة، ماذا تغني الدّراسة إذا كانت صاحبتها لا تركع ولا تسجد لله.

إخوتي الكرام، أخواتي الكريمات،

تُمْدَحُ المرأة بصلاتها، بصدقتها، بعلمها للكتاب والسّنّة، بحفظها لأحاديث رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، بنصحها للنّساء، بالاستقامة والحياء.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

وأشهد أن لا إلـٰـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

إخوتي الكرام، أخواتي الكريمات،

إنّ لَكُنَّ في جيل الصّحابيّات خير المثال، وأروع القدوة، لمن أرادت أن تلقى الله وهو عنها راضٍ.

– لقد كانت نساء الصّحابة حريصاتٍ على تعلّم دين الله تعالى، تقول أمّنا عائشة – رضي الله عنها – : (**نِعْمَ النّساء نساء الأنصار، لم يمنعهنّ حياءهنّ أن يتفقّهن في دينهنّ**).

– وهذه أمّ شُرَيْكٍ الأسديّة، الّتي وهبت نفسها للنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ، ووهبت وقتها وحياها للدّعوة إلى دين الله ونصح النّساء.

هذه المرأة جعلت تدخل على نساء قريشٍ سِرًّا، فتدعوهنّ وترغّبهنّ في الإسلام، حتّى ظهر أمرها لأهل مكّة، فأخذوها وقالوا: (**لولا قومك، لفعلنا بك وفعلنا، ولكنّا سنردّك إليهم**).

منهنّ الّتي كانت مستعدّةً أن تقدّم كلّ شيءٍ، لسلامة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –.

جاء في تاريخ الإسلام وحلية الأولياء، أنّ امرأةً أنصاريّةً من بني دينارٍ أصيب زوجها وأخوها وابنها مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – بِأُحُدٍ، فلمّا نَعُوا لها، قالت: (**فما فعل رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ؟**)،

قالوا: (**خيرًا يا أمّ فلانٍ، هو بحمد الله كما تحبّين**)،

قالت: (**كلّ مصيبةٍ بعدك جَلَلٌ**)،

وفي الحِلْيَةِ: (**بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لا أُبَالِي إذا سَلِمْتَ من عطبٍ**).

يستشهد زوجها وأخوها وابنها، فتتحيّر على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، وبهذا ارتاح بَالُهَا، حينما علمت أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قد سَلِمَ.

ومنهنّ لصدقها جرت عليها كراماتٍ، لحبّها وحي السّماء ورسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، وهذه أمّ أيمن المهاجرة الماشية الصّائمة، سقاها الله تعالى شربةً في هجرتها، لم تعطش بعدها.

جاء في الحلية عن عثمان بن القاسم، قال: { **خرجت أمّ أيمن مهاجرةً إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – من مكّة إلى المدينة، وهي ماشيةً ليس معها زادٌ، وهي صائمةً في يومٍ شديد الحرّ، فأصابها عطشٌ شديدٌ حتّى كادت تموت من شدّة العطش، فلمّا غابت الشّمس،**

قالت: (إذ أنا بخفيف شيءٍ فوق رأسي، فإذا أنا بِدَلْوٍ من السّماء مُدَلَّى بِرَشَاءٍ أبيض)،

قالت: (فَدَنَا منّي حتّى إذا كان حيث أَسْتَمْكِنُ منه تناولته، فشربتُ منه حتّى رَوَيْتُ)،

قالت: (كنت بعد ذلك اليوم الحارّ أطوف في الشّمس كي أعطش، وما عطشت بعدها) }.

هذه المرأة كان يزورها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، عن أنسٍ قال: **{ ذهبتُ مع النّبيّ إلى أمّ أيمن يزورها، فقرّبت له طعامًا أو شرابًا، فإمّا أن كان صائمًا، وإمّا لم يرده، فجعلت تخاصمه (أي كُلْ) ،**

فلمّا توفّي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، قال أبو بكرٍ لعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – : (مُرَّ بنا إلى أمّ أيمن نزورها، كما كان يزورها النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –)،

فلمّا رأتهما بكت، فقالا لها: (ما يبكيك؟)،

فقالت: (ما أبكي، إنّي لأعلم أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قد صار إلى خيرٍ ممّا كان فيه، ولكنّي أبكي لخبر السّماء انقطع عنّا)،

فهيّجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها }.

وانظروا إلى الخنساء الّتي لطالما بكت أخويْها اللّذيْن قُتِلاَ في الجاهليّة، في حين تُقَدِّمُ أربعًا من أبنائها شهداء في معركة القادسيّة وهم يدافعون عن الإسلام، فما ترثيهم وما تبكي عليهم، لأنّ أخويْها ماتا على الجاهليّة، في حين مات أبناؤها شهداء عند ربّهم يُرزقون.

ترثي أخويْها صخرٍ ومعاوية فتقول:

يُذَكّرُني طُلُوعُ الشّمسِ صَخراً وأذكرُهُ لكلّ غُروبِ شَمْسِ

ولَوْلا كَثرَةُ البـاكينَ حَـوْلي على إخوانهمْ لقتلتُ نفسي

فـلا واللهِ لا أَنـسـاكَ حتَّى أُفَارِقَ مُهْجَتِي ويُشَقَّ رَمْسي

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـنـًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولا مفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين،

اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج محنة المصريّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلـٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.